

المدرسة بوصفها جهازا للتنشئة الاجتماعية عند "دوركايم": من نقل القيم إلى بناء الشخصية الأخلاقية

The School as an apparatus of socialization in Durkheim's thought ;From the Transmission of values to the Formation of Moral personality

ملیكة یحیاوی¹، طالبة دكتوراه بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة،

مخبر التربية والإبستمولوجيا

malikayah1989@gmail.com

سليمة قايد²، أستاذة بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة.

gaid.salima@ensb.dz

تاريخ الاستلام: 2026/07/05 تاريخ القبول: 2026/09/13 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

يتناول هذا المقال دور المدرسة في النظرية السوسيولوجية لإميل دوركايم، باعتبارها مؤسسة أساسية للتنشئة الاجتماعية والتربية الأخلاقية. ويؤكد أن التعليم لا يقتصر على نقل المعرفة، بل يسهم في تشكيل الشخصية الأخلاقية للطفل. كما يعرض المدرسة بوصفها مؤسسة اجتماعية تضمن استمرارية المجتمع من خلال نقل القيم والمعايير المشتركة. ومن خلال الانضباط والسلطة التربوية، تدمج المدرسة الأفراد في الوعي الجمعي. ويوضح المقال أيضاً أن التربية توفق بين الفرد والمجتمع بدلاً من وضعهما في حالة تعارض. وفي النهاية، تسهم المدرسة في تنمية الاستقلالية الأخلاقية المنضبطة وإعداد الأطفال ليصبحوا أفراداً مسؤولين في المجتمع.

كلمات مفتاحية: المدرسة، التنشئة الاجتماعية، القيم، الشخصية الأخلاقية.

Abstract:

This article examines the role of the school in Emile Durkheim's sociological theory as a key institution for socialization and moral education. It argues that education is more than the transmission of knowledge, as it shapes the child's moral personality. School is presented as a social institution that ensures the continuity of society by transmitting shared values and norms. Through discipline and pedagogical authority, it integrates individuals into the collective conscience. The article also explains that education reconciles the relationship

Keywords : School, socialization, values, moral personality

*المؤلف المرسل: مليكة يحيوي وسليمة قايد

1. مقدمة :

تعد التربية في بعدها العام أحد الأسس الجوهرية، التي يقوم عليها بناء الفرد داخل المجتمع، إذ لا يكتمل تشكل الشخصية الإنساني، إلا من خلال عملية تربية تمكنه من اكتساب القيم والمعايير، التي تنظم سلوكه، وتحدد موقعه داخل الجماعة. فالتربية ليست فعلا ثانويا أو مكملا للحياة الاجتماعية، بل هي شرط إمكان اندماج الفرد في عالم المعنى والقواعد . ومن خلالها ينتقل الإنسان من مجرد كائن طبيعي، إلى كائن اجتماعي وأخلاقي ومن هذا المنظور تشكل التربية الوسيط الأساسي الذي يضمن استمرارية المجتمع عبر الأجيال، من خلال إعادة إنتاج أنماط التفكير والسلوك ، التي يقوم عليها النظام الاجتماعي.

غير أن مفهوم التربية لم يحظ عبر تاريخ الفكر الإنساني بتصور موحد، بل عرف اختلافا عميقا، باختلاف المرجعيات الفلسفية والسوسيولوجية التي تناولته، وهو اختلاف انعكس بالضرورة على النظرة إلى المدرسة، باعتبارها المؤسسة الأساسية التي تتجسد فيها الممارسة التربوية. فبين تصورات اختزلت تربية المدرسة إلى نقل المعارف، أو في تهذيب فردي، ذي طابع أخلاقي مجرد، برزت تصورات أخرى، أكدت على بعدها الاجتماعي الواقعي، معتبرة إياها ممارسة منظمة تتجاوز الفرد، لتعبر عن حاجات المجتمع ذاته. ومن هنا لم تعد المدرسة تُفهم بوصفها فضاء محايدا للتعليم، بل باعتبارها الإطار المؤسسي، الذي تتحول فيه المبادئ التربوية، من مستوى التصور النظري، إلى مستوى الفعل والممارسة الاجتماعية.

في هذا السياق يقدم "إميل دوركايم"، قراءة نقدية للوضع التربوي المعاصر، معتبرا أن الأزمة التي تُعانيها التربية ليست تقنية ولا تنظيمية فحسب، بل هي في جوهرها أزمة أخلاقية بالدرجة الأولى، ومن ثم ارتبط مشروعه التربوي بإعادة الاعتبار للبعد الأخلاقي للتربية، انطلاقا من تصور جديد للمدرسة، يعيد النظر في مفاهيمها ووسائلها، ويمنح المدرسة مكانة مركزية ، بوصفها المؤسسة القادرة على غرس القيم الجماعية، وبناء الانضباط الأخلاقي لدى الناشئة فالتربية عند "دوركايم" ليست مجرد إعداد مهني أو معرفي، بل هي فعل اجتماعي وأخلاقي، يهدف إلى تكوين الفرد، بما يتلاءم مع متطلبات المجتمع المعاصر.

وانطلاقا من هذا التصور، الذي يربط الأزمة التربوية المعاصرة بإعادة النظر في البعد الأخلاقي للتربية، ويمنح المدرسة موقعا مركزيا في المشروع التربوي الدوركايمي ، تتحدد إشكالية هذا المقال - في محاولة فهم الوظيفة الاجتماعية والأخلاقية للمؤسسة المدرسية داخل المجتمع المعاصر - كالتالي: إذا كانت المدرسة في التصور الدوركايمي مؤسسة اجتماعية، أنشأها المجتمع من أجل استمراره، فكيف تتحول من مجرد فضاء لنقل المعارف والقيم إلى جهاز منظم للتنشئة الاجتماعية، يعمل على تشكيل الشخصية الأخلاقية للطفل؟ وبأي معنى تصبح التربية المدرسية عند "دوركايم" فعلا اجتماعيا مؤسسا، لا يكفي بإعادة إنتاج المجتمع، بل يسهم في بناء الفرد ككائن أخلاقي واجتماعي في آن واحد؟

2. المدرسه فی التصور الدورکایمی: من الفهم التقليدي إلى الجهاز الاجتماعي للتنشئة:

عرفت المدرسه منذ الماضي "كمؤسسة اجتماعية تقوم بعملية التعليم فقط ، لكن بعد تطور المجتمعات، تطورت معها مهمة المدرسه، إذ لم تعد مؤسسة تربوية تعليمية فقط، أين كان التعليم ابرز وظائفها، إلى مؤسسة اجتماعية متعددة الوظائف، أين أصبح التعليم عنصرا واحدا من عناصرها الكثيرة ". (محمد طيب العلوي، 1982، ص62).

يُعرف أنصار الفكر السوسيولوجي المدرسه بأنها "المؤسسة الاجتماعية الثانية بعد المدرسه الأولى (الأسرة) في الأهمية، ومؤسسة متخصصة أنشأها المجتمع لتربية أفرادهم وتعليمهم، وهي أيضا مجتمع مصغر يشبه المجتمع الكبير، لأنها تضم داخلها مجموعة من الأنشطة والعلاقات الاجتماعية المتعددة، وعلاقتها بالمجتمع علاقة متبادلة، كما تعتبر وسطا تربويا تتميز عن الأوساط الجماعية الأخرى، نظرا لخبراتها التربوية المقصودة، كما تساهم في بناء النظام الاجتماعي". (علي بوعناقة وبلقاسم سلطانية، دون سنة، ص202).

لذلك نجد أن "دورکایم" يرى بأنها "تعبير امتيازي للمجتمع ، لهذا يحدد لها دورا كبيرا في التنشئة الاجتماعية، ويعطي لها أبعادا تربوية جديدة لم تكن تعرف بها سابقا ". (نجاه یحیای، 2014، ص58)

1.2. المدرسه فی التصورات التربوية السابقة على "دور کایم" :

تُظهر القراءة التاريخية للفكر التربوي، كما يعرضها "دورکایم" في كتابه تطور التعليم في فرنسا، أن المدرسه كانت قبل الإصلاحات الحديثة، تعكس بصورة مباشرة طبيعة التربية السائدة في كل مرحلة تاريخية، ففي التربية اليونانية القديمة ارتبطت المدرسه بتكوين المواطن الصالح داخل المدينة، حيث كان الهدف الأساسي هو تنمية الفضائل الأخلاقية والعقلية، التي تخدم الحياة السياسية، دون وعي صريح بالطابع الاجتماعي المنهجي للتربية. أما في العصور الوسطى فقد خضعت المدرسه لهيمنة الكنيسة، فأصبحت التربية ذات طابع لاهوتي وأخلاقي معيارين، توجه أساسا نحو خلاص النفس وضبط السلوك ، وفق القيم الدينية، لا وفق حاجات المجتمع بوصفه كيانا مستقلا.

وفي المرحلة الحديثة، ورغم التحول النسبي نحو العقلانية والمعرفة العلمية، ظلت المدرسه تُفهم في الغالب باعتبارها فضاء لنقل المعارف وتنمية القدرات الفردية، دون أن تدمج دمج حقيقيا في تحليل البنية الاجتماعية التي أنتجتها ". (Emile) Durkheim ,1938 ,p5.

ويبين "دورکایم" أن هذه التصورات، على اختلافها تشترك في خاصية أساسية، هي التعامل مع المدرسه بوصفها مؤسسة ذات وظيفة تعليمية أو أخلاقية محدودة، تُفهم انطلاقا من غايات مثالية أو فردية* ، لا من واقع المجتمع ذاته، أو هي أداة لإعادة إنتاجه، بل تختزل إلى كونها وسيلة لتكوين الفرد ، وفق نموذج مسبق، دينيا كان أو أخلاقيا

*ويقصد بهذا التربية عند "جون جاك روسو" وتربية "هبررت سبنسر": للمزيد من التفاصيل أنظر إلى كتاب : (عبد الله زاهي الرشدان ، 2002، ص 211).

أو معرفيا. ومن هنا يغيب البعد الاجتماعي للتربية، وتُفهم المدرسة بمعزل عن الشروط التاريخية والاجتماعية التي تشكلت في إطارها.

2.2. نقد دوركايم للتصور التقليدي للمدرسة والتربية:

ينطلق "دوركايم" من نقد جذري لهذه الرؤية التقليدية، معتبرا أن قصورها لا يكمن فقط في محدودية وظائف المدرسة التي تفترضها، بل في طبيعة الفهم الذي تقوم عليه التربية ذاتها، فالتربية في هذه التصورات تقدم إما باعتبارها عملية أخلاقية معيارية، تهدف إلى تهذيب الفرد أو باعتبارها نشاطا معرفيا محايدا في حين تجاهل كونها ظاهرة اجتماعية قبل كل شيء. يقول "دوركايم" : "إن هدف التربية عند كانط (Kant) وميل (Mill) وهيربارت (Herbart) كما عند سبنسر (Spencer) هو قبل كل شيء، تحقيق النمو الأمثل، للملكات الفردية الخاصة بالنوع الإنساني، والعمل على إيصال هذه الملكات إلى أعلى درجة من الكمال الممكن". (Jean Marie Tremblay, 2000, p4). ويؤكد "دوركايم" أن المدرسة كما كانت قائمة قبل الإصلاحات التربوية الحديثة، لم تكن واعية بوظيفتها الاجتماعية، لأنها كانت خاضعة لمرجعيات خارجية (دينية أو فلسفية) تفرض عليها غايات لا تنبع من المجتمع نفسه.

ومن هذا المنطلق، يربط "دوركايم" نقده للمدرسة القديمة، بنقده لطبيعة التربية السائدة فيها، والتي يراها عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات المجتمع المعاصر، فالمجتمعات المعاصرة القائمة على تقسيم العمل والتمايز الوظيفي، تحتاج إلى تربية جديدة قادرة على خلق الانسجام الاجتماعي، وبناء روابط أخلاقية مشتركة بين أفراد متميزين. يقول : "إن التحولات العميقة التي شهدتها المجتمعات الإنسانية القديمة، والتي تجتاح المجتمعات المعاصرة، تقتضي بالضرورة وجود تحولات عميقة مكافئة لها في إطار التربية القومية" (دوركايم، 1996، ص14). في حين أن التربية التقليدية بطابعها الفردي أو اللاهوتي، لم تكن مؤهلة للقيام بهذا الدور، لأنها لم تنظر إلى المدرسة باعتبارها مؤسسة اجتماعية مستقلة، بل كوسيلة خاضعة لقيم سابقة على المجتمع أو منفصلة عنه، ومن هنا يصبح نقد المدرسة التقليدية شرطا ضروريا لبناء تصور تربوي جديد.

3.2. التربية بوصفها فعلا اجتماعيا منظما عند "دوركايم" :

في مقابل هذه التصورات، يقدم "دوركايم" تعريفا جديدا للتربية، يتجاوز الطابع المعيارى والفردي، ليؤكد بعدها الاجتماعي الواقعي، ففي كتاباته حول التربية والمجتمع يُعرف التربية قائلا: "التربية هي الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم ترشد بعد من أجل الحياة الاجتماعية، وهي تعمل على خلق مجموعة من الحالات الجسدية والعقلية والأخلاقية عند الطفل وتنميتها. وهي الحالات التي يتطلبها المجتمع بوصفه كلاً متكاملًا والتي يقتضيها الوسط الاجتماعي الخاص الذي يعيش فيه الطفل" (دوركايم، 1996، ص68).

ولا تكمن أهمية هذا التعريف في صيغته فقط، بل في الدلالة السوسيولوجية التي يحملها، إذ يجعل التربية تعبيراً مباشراً عن حاجات المجتمع وقيمه. فالتربية بهذا المعنى ليست اختياراً فردياً أو نشاطاً محايداً، بل هي فعل اجتماعي منظم يحمل طابع الإلزام والعمومية، ويُمارس داخل مؤسسات اجتماعية محددة، وفي مقدمتها المدرسة.

ومن خلال هذا الإطار المؤسسي تُنقل القيم والمعايير الجماعية إلى الأفراد، بما یضمن إعداد الطفل للحياة الاجتماعية وتهذيب سلوكه، وتنمية المهارات والقدرات الضرورية، التي تمكنه من التواصل والإدماج الفعّال داخل المجتمع. (معبود مریم، 2022، ص413).

ویترتب عن هذا الفهم أن المدرسة تصبح الإطار المؤسسي الأساسي، الذي تتجسد فيه التربية بوصفها فعّالا اجتماعيا، فالمدرسة ليست مجرد مكان لتعلم المعارف، بل فضاء تمارس فيه السلطة الاجتماعية بصورة تربوية، حيث تنقل القيم والمعايير من مستوى وجودها الخارجي في المجتمع إلى مستوى التمثيل الداخلي لدى الطفل. ومن هنا تغدو التربية المدرسية آلية لإدماج الفرد في المجتمع، لا عبر القسر المباشر، بل عبر بناء الاستعدادات الأخلاقية، التي تمكنه من الامتثال للقواعد الجماعية، وهذا ما یمهد منطقيا للانتقال إلى فهم المدرسة، في التصور الدورکایی بوصفها جهازا اجتماعيا للتنشئة.

4.2. المدرسة بوصفها جهازا اجتماعيا للتنشئة عند "دورکایم":

یعد الانتقال من فهم المدرسة، كمؤسسة تعليمية محايدة، إلى اعتبارها جهازا اجتماعيا للتنشئة أحد أهم التحولات المفهومية في التصور الدورکایی للتربية. فالمدرسة في نظر "دورکایم" لا تُفهم انطلاقا من وظائفها الظاهرة المتمثل، في نقل المعارف، بل من موقعها داخل البنية الاجتماعية، ودورها في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي أخلاقيا وثقافيا. إنها تمثل داخل المجتمع المعاصر، جهازا وسيطيا بين الفرد والمجتمع. یقول: "يجب على كل تربية أن تخضع للفعّال الاجتماعي، ومن أجل تحقيق ذلك، فإنه لا يجب بالضرورة العمل على تحقيق مركزية التعلم" (دورکایم، 1996، ص69).

ومنه فالمدرسة تُعنى بتحويل القيم والمعايير الجماعية من كونها وقائع اجتماعية خارجية، إلى مكونات داخلية في شخصية الطفل. یقول: "إذ یتوجب على المجتمع، ودون توقف أن یملي على المعلم الأفكار والمشاعر، التي يجب أن تُغرس في الأطفال من أجل تحقيق تکاملهم مع الوسط الاجتماعي، الذي یتوجب عليهم العیش في أحضانه" (دورکایم، 1996، ص69).

وبهذا المعنى تصبح المدرسة فضاءً منظما، تمارس فيه السلطة الاجتماعية بصورة عقلانية وتربوية، لا عبر الإكراه المباشر، بل عبر التنشئة التدريجية على الامتثال للقواعد المشتركة. ولا یکتسب هذا الدور أهميته، إلا إذا وضع في سياقه الاجتماعي التاريخي، فالمجتمع المعاصر، القائم على تعقد العلاقات الاجتماعية وتنامي الفردانية، لم یعد قادرا على الاعتماد على الأسرة، وحدها لضمان التنشئة الاجتماعية السليمة، إذ تظل الأسرة، بحكم طبيعتها العاطفية والخصوصية، عاجزة عن نقل القيم العامة والمجردة، التي یقوم عليها المجتمع ككل. من هنا "تظهر المدرسة كجهاز اجتماعي ضروري یتولى مهمة إدخال الطفل إلى عالم القواعد والالتزامات العامة، ویدربه على احترام النظام والانضباط والتعايش مع الآخرين ضمن إطار مؤسسي، یعکس صورة مصغرة عن المجتمع". (أسیا بومعيزة، غنية ضیف، 2016، ص16).

وتأسيسا على ذلك، يذهب "دوركايم" إلى أن المدرسة لا تكتفي بعكس المجتمع، بل تُسهم فعليا في إعادة إنتاجه والمحافظة على تماسكه. "فهي تنشئ لدى الطفل استعدادا أخلاقيا للانتماء إلى الجماعة، وتُرسخ فيه الشعور بالواجب واحترام السلطة، بوصفها سلطة مشروعة نابعة من المجتمع، لا من إرادات فردية." (عيسى إبراهيم عثمان، 2008، ص19) ومن خلال الحياة المدرسية اليومية – بقواعدها وتنظيمها الزمني وعلاقتها السلطوية- يتعلم الطفل كيف يضبط رغباته الفردية وكيف سلوكه مع مقتضيات العيش المشترك. وهنا تتجسد التنشئة الاجتماعية، لا بوصفها خطابا نظريا، بل ممارسة عملية متواصلة.

ويؤكد "دوركايم" أن ما يميز المدرسة، بوصفها جهازا للتنشئة "هو طابعها العقلاني والمنهجي. فهي لا تنقل القيم بصورة عفوية أو تلقائية، كما هو الحال في الأسرة، بل عبر برامج تعليمية وبيداغوجية واعية، تستند إلى فهم علمي لطبيعة المجتمع وحاجاته." (زيان محمد، 2019، ص118). ومن ثم تصبح التربية المدرسية أداة لضبط التوتر القائم بين النزعة الفردانية، ومتطلبات التضامن الاجتماعي، إذ تعلم الطفل أن الحرية لا تتحقق خارج القاعدة، بل من خلالها، وهذا ما يجعل المدرسة في التصور الدوركايمي، شرطا أساسيا لإمكان قيام أخلاق علمانية قادرة على ضمان وحدة المجتمع المعاصر واستمراره.

3. المدرسة وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية (الآليات والوظائف):

لا يمكن فهم الدور التربوي للمؤسسات التعليمية في المجتمع المعاصر، بمعزل عن الإطار الأوسع، الذي تنظم داخله عملية التنشئة الاجتماعية، فالتربية في التصور السوسيولوجي العام، لا تقتصر على نقل المعارف أو ترسيخ جملة من القيم المجردة، بل تعد أحد الأشكال الأساسية، التي يمارس من خلالها المجتمع سلطته الرمزية والأخلاقية على الأفراد، من أجل ضمان اندماجهم في نظامه القيمي واستمراريته بنيتة الاجتماعية. ومن ثم يغدو الحديث عن المدرسة حديثا عن وظيفة اجتماعية، قبل أن يكون حديثا عن مؤسسة تعليمية.

ويتيح التصور الدوركايمي للتنشئة الاجتماعية مقاربة هذه الوظيفة من منظور أعمق، إذ يبرز أن إدماج الفرد في المجتمع لا يتم عبر الإقناع الفردي أو التلقين المباشر، بل من خلال عملية اجتماعية منظمة، تُمارس فيها السلطة الجماعية بصورة غير مباشرة ومستمرة. "فالتنشئة تعبر عن الكيفية، التي تتحول بها القيم والمعايير، من كونها وقائع اجتماعية خارجية، إلى بنيات داخلية موجهة للسلوك، بما يجعل التربية فعلا اجتماعيا بنيويا يتجاوز الطابع التقني أو التعليمي الضيق". (عبد العزيز خواجه، 2005، ص15).

وفي هذا السياق، يتجلى الرهان في الوقوف عند الشروط النظرية والمؤسسية، التي تجعل المدرسة فضاءً ممكنا للتنشئة، وذلك من خلال تحليل مفهوم التنشئة الاجتماعية عند "دوركايم"، ثم الوقوف عند بعض الآليات، التي تتجسد من خلالها. وفي مقدمتها شخصية المعلم، ودور الدولة بوصفها أولا : إطارا ضامنا لوحدة القيم والمعايير داخل المجتمع، وثانيا: سلطة رقابية مشروعة تضطلع بوظيفة الإشراف، على المؤسسة المدرسية، وضمان انسجام ممارستها، مع القيم والمعايير الجماعية، التي يقوم عليها المجتمع.

1.3. مفهوم التنشئة الاجتماعية عند "دوركايم" :

يُعرف "دوركايم" التنشئة الاجتماعية (Socialisation): "بوصفها العملية التي يُمارس من خلالها المجتمع فعله التكويني على الأفراد، بحيث يُحيلهم من كائنات بيولوجية ذات ميول فردية، إلى ذوات اجتماعية قادرة على الامتثال للنظام الأخلاقي العام." (غنية ضيف، 2019، ص ص 82-83) فالتنشئة في تصوره ليست مجرد نقل للمعارف أو العادات، بل هي "إدماجٌ منهجي للطفل ، في عالم الوقائع الاجتماعية، التي تتسم بالموضوعية والإلزام، وتعمل على تشكيل الضمير الفردي وفق مقتضيات الضمير الجمعي، ومن ثم فهي آلية إعادة إنتاج للتماسك الاجتماعي، إذ تغرس في الفرد، أنماط التفكير والشعور والسلوك الأخلاقي، التي تضمن استمرارية الجماعة وتكاملها." (جورج ريتزر وجيفيري ستينسكي، 2021، ص 56). وبهذا المعنى تغدو التنشئة عند "دوركايم" فعلا تأسيسيا، يتوسط بين البنية الاجتماعية والفرد، ويجعل الأخلاق تعبيرا عن سلطة المجتمع، في صيغتها التربوية المؤسسة.

2.3. المعلم بوصفه تجسيدا للسلطة الأخلاقية في عملية التنشئة الاجتماعية :

إذا كانت المدرسة في التصور الدوركايمي، تمثل إحدى المؤسسات المركزية المكلفة بإعادة إنتاج القيم والمعايير الاجتماعية، فإن هذه المهمة لا تتحقق بصورة تلقائية، بل تتطلب فاعلا تربويا يضطلع بترجمتها إلى ممارسات يومية ملموسة. ويتمثل هذا الفاعل في شخص المعلم الذي يشكل الحلقة الواسلة بين المجتمع والطفل. فالقيم الأخلاقية لا تنتقل إلى الناشئة في صورتها المجردة، وإنما تكتسب فعاليتها من خلال تجسدها في سلوك تربوي حي يقدمه المعلم داخل الفضاء المدرسي. ومن ثم لا يقتصر دوره على نقل المعارف، بل يتجاوز ذلك إلى تمثيل السلطة الأخلاقية للمجتمع وتجسيد مقتضيات الضمير الجمعي في الممارسة التربوية، بما يجعل منه أداة أساسية في تحقيق التنشئة الاجتماعية.

يرى "دوركايم" أن السلطة الأخلاقية التي يمثلها المعلم داخل المؤسسة التربوية "لا تستمد مشروعيتها من الإكراه الخارجي أو من المكانة الوظيفية فحسب، وإنما من قدرتها على تحويل القيم الاجتماعية إلى موجات عملية للسلوك. فالتنشئة الاجتماعية لا تتحقق بمجرد عرض المبادئ الأخلاقية على الطفل في صورة مجردة، لأن الطفل لا يدرك في المراحل الأولى من نموه المعاني الاجتماعية الكامنة وراء الواجبات المفروضة عليه، بل يكتشفها تدريجيا من خلال الممارسة والتفاعل اليومي داخل الوسط التربوي". (العيداني ربيعة وأيت عيسى حسين، 2024، ص 301). ومن ثم، يصبح المعلم الوسيط الذي ينقل القيم من مستوى التجريد إلى مستوى الخبرة المعيشة، فيغدو الواجب الأخلاقي واقعا محسوسا يتجسد في الأفعال والعلاقات والمواقف اليومية.

وفي هذا السياق، يؤكد دوركايم أن التربية الأخلاقية لا تقوم على تلقين القواعد بقدر ما تقوم على ترسيخها في السلوك، بحيث تتحول من أوامر خارجية إلى مبادئ داخلية توجه الفعل الإنساني بصورة تلقائية. وهنا تتجلى الوظيفة التربوية للمعلم، إذ لا يكتفي بشرح القيم والمعايير، بل يعمل على تجسيدها في ممارسته اليومية ليقدم للطفل نموذجا حيا يمكن الاقتداء به واستبطان ما يمثله من معان أخلاقية واجتماعية. (غنية ضيف، 2016، ص 13).

وتبلغ هذه الوظيفة ذروتها "عندما تصبح شخصية المعلم نفسها حاملا للسلطة الأخلاقية التي يتحدث عنها دوركايم، فهذه السلطة لا تعني السيطرة أو القهر، وإنما تعبر عن الاعتراف المشروع بما تمثله القاعدة الأخلاقية من قيمة جماعية ملزمة. لذلك فإن تأثير المعلم لا ينبع من قدرته على فرض الطاعة، بل من نجاحه في إيقاظ الشعور بالواجب واحترام النظام داخل نفوس المتعلمين، بما يجعلهم يقبلون القاعدة الأخلاقية بوصفها ضرورة اجتماعية لا مجرد أمر خارجي." (Jean Marie Tremblay, 1922, p89).

وبذلك يغدو المعلم الأداة الأساسية التي يباشر المجتمع من خلالها عملية التنشئة الاجتماعية، لأنه يمثل داخل المدرسة الامتداد الرمزي للضمير الجمعي. ويعمل على تحويل القيم المشتركة إلى أنماط مستقرة من التفكير والشعور والسلوك، بما يضمن اندماج الأفراد في الحياة الاجتماعية والمحافظة على تماسك المجتمع واستمراره.

4. وظيفة المدرسة في بناء شخصية الطفل من الضبط الجسدي إلى التكوين الأخلاقي :

لا تنهض المدرسة في التصور الدوركايمي "بوظيفتها التربوية بوصفها مؤسسة لنقل المعارف فحسب، بل باعتبارها فضاء اجتماعيا منظما، يعاد داخله تشكيل شخصية الطفل، وفق متطلبات الحياة الجماعية. فبناء الشخصية لا يختزل في تنمية قدرات فردية معزولة، بل يفهم بوصفه مسارا مركبا، تتداخل فيه أبعاد الجسد والعقل والأخلاق، ضمن نسق تربوي واحد، غايته إدماج الطفل في النظام الاجتماعي، إدماجا فعالا ومستديما. يقول: "التربية هي الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة، على الأجيال التي لم ترشد بعد، من أجل الحياة الاجتماعية، وهي تعمل على خلق مجموعة من الحالات الجسدية والعقلية والأخلاقية عند الطفل وتنميتها." (دوركايم، 1996، ص 67).

1.4. دور المدرسة في تطبيع^{1*} الجسد مع النظام الاجتماعي :

تحتل التربية الجسدية مكانة تأسيسية في التصور الدوركايمي إذ لا يُنظر إلى الجسد بوصفه معطى طبيعيا يترك لتلقائيته، بل باعتباره المجال الأول، الذي تتدخل فيه التربية، لإخضاع الفرد الناشئ، لمنطق النظام الاجتماعي. فالطفل في بدايته كائن تحكمه الاندفاعات والحركات غير المنضبطة، وهو لذلك غير مهئ فطريا للحياة الجماعية يقول: "يتميز الطفل بشعور مانع، دائم الحركة، يعكس من لحظة إلى أخرى صورا عديدة، وحركات انفعالية، تندفع بعنف في طريقها، حتى يصيبها الإعياء." (دوركايم، 2015، ص 145). ومن هنا تتبدى المدرسة

*يشير مفهوم التطبيع، بصفة عامة إلى العملية التي يتم من خلالها إدماج الفرد في نسق من القواعد والمعايير والقيم، بحيث تصبح هذه الأخيرة، جزءا من سلوكه وتصورات وممارساته اليومية. ولا يعني التطبيع مجرد الامتثال الخارجي للضوابط الاجتماعية، بل يفيد استبطانها وتحويلها إلى موجات داخلية للفعل.

أما في هذا السياق، فيقصد بالتطبيع الجسدي إخضاع الجسد الفردي لعملية تربوية منظمة، تهدف إلى تنمية عادات الانضباط والنظام والتحكم في السلوك. بما يجعله متوافقا مع مقتضيات الحياة الاجتماعية وقادرا على الاندماج في الجماعة. (علي بوعناقة وبلقاسم سلطانية، بدون سنة، ص 50).

ملیكة یحیای، قاید سلیمه

كفضاء منظم، یمارس داخله فعل تربوي، قوامه تنظيـم الحركات، ضبط الإقاعات الیومیة، وتطبیع السلوك الجسدي مع نسق من القواعد الثابتة، التي تفرض نفسها على الجميع، بصفتها قواعد غير شخصية.

2.4. دور المدرسة في تنمية العقل:

تعد المدرسة المؤسسة الأساسية، التي يقوم عليها بناء العقل الجمعي في المجتمع فهي "ليست مجرد فضاء لنقل المعارف، بل فضاء لإعادة إنتاج أنماط التفكير المشتركة، وترسيخ القيم والمعايير، التي تجعل الفرد فاعلا ومتكيفاً داخل المجتمع.

ومن خلال التعليم المهجي وتربية العقل على التفكير النقدي والموضوعي، وتوجيه الطفل نحو فهم الذات والعالم، تتحقق وظيفة المدرسة في تهيئة الفرد، ليصبح جزءاً من المجتمع، بوعي القواعد والروابط الاجتماعية. " (سارة زويتي ومريم عثمان، 2020، ص 100). من هذا المنطلق تتضح أهمية المدرسة في غرس العقل الجمعي، مما يجعل دراسة المواد وتنظيمها ، وفق مراحل التعليم الثانوي²، خطوة أساسية في تحقيق هذه الغاية.

3.4. المدرسة والتنشئة الأخلاقية عند دور كايم :

ينطلق "دوركايـم" في تحليله للمسألة التربوية، من تشخيص عميق للأزمة الأخلاقية، التي عرفها المجتمع الحديث، حيث لم تعد الأطر التقليدية قادرة على ضمان اندماج الفرد، داخل النظام الاجتماعي، على أسس قيمية مستقرة، ومن ثم فإن الإشكال التربوي لا يختزل عنده في ضعف المناهج، أو قصور الأساليب التعليمية، بل يتمثل أساساً في اختزال وظيفة التربية الأخلاقية، وعجزها عن تكوين كائن اجتماعي منضبط، وقادر على العيش داخل الجماعة.

وفي هذا السياق " تبرز المدرسة، بوصفها المؤسسة الاجتماعية المركزية المؤهلة لتحمل هذه المهمة، إذ لا تختزل وظيفتها في نقل المعارف، بل تتجاوز ذلك، إلى غرس القيم والمعايير، التي يقوم عليها النظام الأخلاقي للمجتمع. فالمدرسة بما تُمثله، من سلطة شرعية، وقواعد عامة، تشكل فضاءً وسيطياً بين الفرد والمجتمع، تُمارس داخله عملية التنشئة الاجتماعية في بعدها الأخلاقي المنظم. " (معبود مريم، 2022، ص 412).

5. خاتمة :

وعليه يتضح أن المدرسة في التصور الدوركايـمي ليست مجرد امتداد للأسرة ولا مؤسسة تعليمية محايدة، بل جهاز اجتماعي أساسي، يتولى مهمة إدماج الأجيال الجديدة في النظام الاجتماعي، فدورها غرس التنشئة الاجتماعية، لا يقوم على فرض القواعد بالقوة، بل على جعلها مفهومة ومشروعة ومعاشة داخل الحياة المدرسية. ومن ثم تظل أطروحة "دوركايـم" ذات قيمة نظرية ومنهجية بالغة، لأنها تبرز أن إصلاح المجتمع يمر بالضرورة عبر إصلاح التربية، وأن بناء الكائن الاجتماعي يبدأ من المدرسة.

ومنه يمكن القول إن دور المدرسة في غرس التنشئة الاجتماعية الأخلاقية، وفق التصور الدوركايمي لا يكمن في فرض النظام بالقوة، بل في جعل القاعدة، مفهومة ومشروعة ومحترمة، بما يضمن تكوين كائن أخلاقي، قادر على الاندماج في المجتمع، وهكذا تظل أطروحة "دوركايم" ذات راهنية فكرية، لأنها تضع التربية في صميم المشروع الاجتماعي، وتربط الأخلاق ببناء النظام لا بقمع الفرد.

وإذا كان هذا التصور يمنح للمدرسة مكانة مركزية في بناء التنشئة الاجتماعية، فإنه يكشف في العمق عن رؤية أوسع للأخلاق ذاتها، بوصفها نتاجا اجتماعيا لا يمكن غرسه خارج المؤسسات، فالأخلاق عند "دوركايم"، لا تكتسب عبر الوعظ ولا عبر القسر، بل من خلال العيش داخل نظام من القواعد، تُمارس وتُختبر يوميا. ومن هنا، فإن المدرسة لا تُعلم الأخلاق بوصفها مضمونا نظريا، بل تنتجها عمليا عبر تنظيم الحياة المدرسية، وضبط العلاقات، وتحديد ما هو مقبول وما هو مرفوض داخل الجماعة. وبهذا المعنى يصبح النظام المدرسي ذاته شكلا من أشكال التربية الأخلاقية، ويغدو احترام القاعدة تعبيراً عن اندماج الطفل في المجتمع، لا مجرد امتثال خارجي لأوامر مفروضة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن خراجة عبد العزيز (2005)، مبادئ التنشئة الاجتماعية، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، (دون طبعة).
2. براهيمي، أم السود (2020)، المقاربة السوسولوجية للأخلاق في المجتمعات الحديثة: تحليل دوركايم نموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، (العدد 12) . ص ص (242_249) <https://asjp.cerist.dz/en/article/140177>
3. بوعناقة علي وبلقاسم سلطانية (دون سنة)، علم الاجتماع التربوي، مدخل ودراسة القضايا والمفاهيم، (دون طبعة)، عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر.
4. بومعيزة آسيا وأضيف، غنية (2016)، التربية والسوسولوجيا قراءة في المنظور الدوركايمي، دفاتر المخبر (العدد 11). صص (22_7) . <https://asjp.cerist.dz/en/article/81340>
5. جورج، ريتزر وجيفيري، ستينبندسكي (2021). النظريات الحديثة في علم الاجتماع (الطبعة الأولى). السعودية: الجمعية السعودية للدراسات الاجتماعية.
6. درنوني، هدى (2017)، دور الدولة في التنشئة الأخلاقية عند إميل دور كايم، دفاتر المخبر، المجلد 12. (العدد-2). ص ص (72_62) <https://asjp.cerist.dz/en/article/134467>
7. دور كايم إميل (1996)، التربية والمجتمع. الطبعة الخامسة، دمشق: دار معهد للطباعة والنشر .
8. دوركايم إميل (2015)، التربية الأخلاقية. (دون طبعة)، القاهرة: المركز القومي للترجمة .
9. زويتي سارة وعثمان مريم (2020)، دور المدرسة في ترسيخ مبادئ التربية البيئية لدى التلميذ، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 4(العدد 2). ص ص 112_100 <https://asjp.cerist.dz/en/article/113586>

10. زیان محمد (2019)، مساهمة إميل دوركايم في سوسيولوجيا التربية، المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجيا المعاصرة، المجلد.5 (العدد 9) ص ص 112_129
[https:// asjp.cerist.dz/en/article/. 92108](https://asjp.cerist.dz/en/article/.92108)
 11. الرشيدان زاهي عبد الله . (2002)، تاريخ التربية، (الطبعة الأولى)، الأردن: دار وائل للنشر.
 12. ضيف غنية، (2019)، التنشئة الاجتماعية عند دوركايم، دراسات اقتصادية، المجلد 21 (العدد 1). ص ص (22_7)
[https:// asjp.cerist.dz/en/article/ 135265](https://asjp.cerist.dz/en/article/135265)
 12. ضيف غنية (2016)، المسألة التربوية عند دوركايم، مجلة دفاتر علم الاجتماع، (العدد 4)، ص ص (143_135)
[https:// asjp.cerist.dz/en/article/ 237583](https://asjp.cerist.dz/en/article/237583)
 13. عثمان عيسى إبراهيم (2008)، النظرية الاجتماعية / المعاصرة، (الطبعة الأولى)، الأردن : دار الشروق والتوزيع .
 14. علية سماح وشاوش خان جهيدة (2016)، الظاهرة الأخلاقية عند دوركايم، دفاتر مخابر، المجلد 14 (العدد 1)، ص ص (62_49).
[https:// asjp.cerist.dz/en/article/ 813443](https://asjp.cerist.dz/en/article/813443)
 15. لعيداني ربیعة وآيت عيسى حسين (2024)، البعد الأخلاقي لسلطة المعلم في المؤسسة المدرسية وفق نظرية إميل دوركايم، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 12 (العدد 3) ص ص (319_299)
[https:// asjp.cerist.dz/en/article/ 253783](https://asjp.cerist.dz/en/article/253783)
 16. معبود مريم (2022)، المجتمع ورهانات التربية على القيم في فكر إميل دوركايم: مقارنة نظرية، مجلة دراسات، المجلد 11 (العدد 1)، ص ص (424_407)
[https:// asjp.cerist.dz/en/article/ 188541](https://asjp.cerist.dz/en/article/188541)
 17. الجلي محمد الطيب (1982)، التربية والإدارة بالمدارس الأساسية (الطبعة الأولى) قسنطينة: دار البحث للطباعة والنشر.
 18. یحیایوی نجاة (2014)، المدرسة وتعاضم دورها في المجتمع المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، (العدد 36.3)، رقم الصفحات 57_74.
http://search/emarefa.net/detail/bim_830239
1. Durkhiem Emile (1922), *Education et sociologie*, JEAN Marie Tremblay, paris, novembre 2000.
 2. Durkheim EMILE (1938), *l'évolution pédagogique en France, cours pour les candidats à l'agrégation prononcé en 1904- 1905*, jean marie ,paris.
 3. *L'éducation morale*, Jean Marie Tremblay, Paris.(1925) émile Durkheim 3